

«هنا سليمان»
لا تنسى

إسكربت



المقدمة

دائمًا ما نُخطط لفعل كثيرًا من الأشياء مع من نُحب، ولكن القدر يعيق كل أهدافنا ويقف كعقبة بيننا وبين تحقيقها، حتى تتحوّل كل أحلامنا لمُجرد اوهام لا نقدر على تحقيقها حتى!.. فيُحطم طموح كُنّا نأمل تحقيقه، ويُحرّكنا كالدمى الصغيرة وفق ما يشاء، سالبًا منّا كل ما نُحب حتى إن كان روحًا عزيزة على القلب.

أَلَقْتُ مَا بَحُورَتِهَا عَلَى الطَّائِلَةِ أَمَامِهِ بِتَبْرَمٍ صَائِحَةٍ:

__إِمْسِكْ يَا عَمَّ حَاجَتِكَ أَهْيَهُ.

نَظَرْتُ لَهَا بِتَفْحَصٍ وَعَلَى أَغْرَاضِهِ الَّتِي أَلَقْتُ بِهَا :

__تَعَالَى اضْرِبْنِي أَحْسَنَ يَا بَت.

تَحَوَّلَتْ مَلَامِحُهَا فِي ثَوَانٍ وَارْتَسَمَتْ ابْتِسَامَةٌ عَلَى ثَغْرِهَا بِحُبٍّ :

__عَامِلٌ أَيْهِ يَا عَيْوَنِي؟

بَادَلَهَا نَفْسَ الْإِبْتِسَامَةِ مُرَدِّفًا:

__بَخِيرٌ طَوَّلَ مَا أَنْتِ بَخِيرٌ يَا حَبِيبِي.

جَلَسَتْ عَلَى الْكُرْسِيِّ الْمُقَابِلِ لَهُ ثُمَّ هَتَفَتْ :

طب يلا اطلبلي حاجة اشربها عشان نكمل باقي المشروع.

أشار للنادل فأتى سريعًا، وطلب الاثنان ما يُريدان، فطلبت هي كوبًا من الليمون وطلب هو قِدح قهوة، وبأشراً العمل بمشروع التخرج خاصتهم بآخر سنة في عامهم الدراسي بكلية الهندسة، أحضر النادل طلبهما بينما كانا يصُبا كامل تركيزهم في العمل، ترك القلم الذي كان يُخطط به وأنعم النظر لها وهي تُحدق بالأوراق التي أمامها باهتمام وخصلات شعرها مُبعثرة على وجهها لتظهر ابتسامته بإتساع على فاهه، ظل يتأمل ملامحها لدقائق دون أن يُلاحظ أنها تُنادي باسمه عدة مرات ولا تتلقى الرد منه، فرقعت أصابعها أمام وجهه فجذبت انتباهه، فنبتت بحاجبين معقودين تعجبًا :

في ايه يا ابني سرحت في ايه؟!!

نظر لها بانتباه وأردف :

ها! لا مفيش حاجه يلا نكمل.

ثوانٍ وارتشف من فنجان القهوة خاصته قائلاً بشجن:

شايفة لون القهوة دي؟

أومات برأسها بالإيجاب فأكمل هو حديثه :

_ لون عيونك أجمل منها، عيونك هي الكافيين بتاعي اللي بيفوقني لما ابصلهم.

توردت وجنتاها بخجل وفرت بأعينها حتى لا تُقابل خاصته وضحكت بخفوت حتى ظهرت أسنانها، فابتسم هو على خجلها وأكمل عمله ليرجع هي أيضاً، مرت ساعة كما هو الحال ليعود هي وتتنظر له متأملة ملامحه ثم تساءلت:

_ بتحبني؟!!

ترك ما بيده مُدهش من سؤالها وعقد ما بين حاجبيه:

_ عندك شك في كده؟!!

أرجعت خُصلات شعرها خلف أذنها هاتفة بهدوء :

_ لا معنديش شك، بس بحب أتطمئن ... أتطمئن أنك لسة بتحبني ومز هقتش مني وأنتك دائماً جنبي ومش هتسييني.

تفوه بسرعة دون تردد :

_أوعداك إني مش هسيبك أبداً يا حبيبتى.

التمعت مقلتهاها وابتسمت في بهجة كأنها تتأكد :

_أبداً أبداً؟

أومئ لها تأكيداً :

_أبداً أبداً يا عيوني.

وفي حين هي ترمقه بعيون باسمة أخرج ظرفاً كان في جيب بنطاله
ووضعه أمامها بهدوء لـتتفاجأ بذهول ممزوج بفرحة :

_ايه ده!!

_زي ما أنتِ شايقة.. دعوة الفرح!

انتشلتها بسرعة من على الطاولة وهي تتفحصها بصدمة :

__ متهزرش ده بجد!

__ طبعت أول دعوة اهيه، بصي على المعاد كده.

صاحت مرة أخرى بعدم تصديق وذهول مُبتسمة:

__ ده أول الشهر الجاي.

__ بعد حفلة التخرج بالظبط، روت حجت القاعة اللي كنتِ هتموتي
عليها... بس مش واخدة بالك من حاجة؟!!

زوت ما بين حاجبيها بجهل :

__ لا، ايه؟!!

أشار لها على التاريخ المكتوب بالدعوة ليقول بعدها :

__ نفس يوم كتب الكتاب ويوم عيد ميلادك.

أصبحت ابتسامتها تملأ وجهها لا تُصدق كل ما يفعله فأكمل حديثه :

__ مش كان نفسك في كده! إن يوم فرحنا يكون يوم عيد ميلادك!؟!

هزت رأسها مرات عدة بالموافقة :

__ ايوة ايوة، أنا بحبك أوي.

أردف بنبرة هامسة تحمل في طياتها الحُب :

__ أنا بحبك أكثر.

صاحت به بصوتٍ هادر:

__ بقولك طلقني!

زفر بنفاد صبر ويأس من هرموناتها التي تتغير في ثوانٍ :

__ يا بت العبيطة في ايه أنا لسة صاحي!

أكملت صراخها عبر الهاتف بتذمر :

__ روح بقى يا أخويا أقف مع البت وهزر واضحك معاها.

__ اصطبحي يا ورد وقولي يا صبح، قولنا نعقل ونبطل جنان.

__ جنان هو أنت لسة شوفت حاجة.

وفجأة وجد من يقتحم غرفته ويفتح بابها باندفاع، صاحت بغضب ساخط
:

__ جنان يا نوح وربنا أنا هوريك.

رمقها بصدمة غير مُصدق أفعالها المرعبة، لحظات لِنتنبه لما يرتديه
فابتلعت ريقها بصعوبة وخرست بخجل لِنتنفوه بعدها غير قادرة على
النطق :

__ أن .. أنت.

لم تُكمل كلماتها حتى فرت هاربة للخارج بعدما رآته عاري الجذع فزفر
بحنق من تصرفاتها مُغمغًا :

__ يارب صبرني على العبيطة دي.

وانبثق للخارج بتأفف ليجدها تقف مع والدته ووجهها يطغي به الحُمره
أثر خجلها تحت تساؤلات والدته عمًا حدث بالداخل، فاقترب منها
وأمسكها من تلابيبها مثل السارق وسحبها خلفه للداخل مرة أخرى
وأغلق الباب خلفه، فوقفت أمامه تنظر لأرضية الغرفة بخجل وحياء منه
فوضع يده تحت ذقنها ورفع وجهها لِنتلاقى أعينهم ببعضهم فأغمضت
جفونها سريعًا فقهقه عاليًا وهتف بمشاكسة:

__ يا ولا!

عادت له بحدقتيها مُبتسمة بخجل ثم وكزته في كتفه:

_بس بقى.

حاوط خصرها بذراعه وقربها له فصرخت بصوت مكتوم :

_لا يا نوح!

ابتعد عنها مُجددًا حتى لا يُزيد خجلها ولكنها تناست كل هذا في ثوانٍ
لنتذكر فعلته فأكلمت بسخط دفين :

_تعالى بقى هنا يعني ايه تقف مع البت وتضحك وتهزر معاها يا نوح
ها!

تشنج وجهه وكأنه سيبيكي للتو هاتفًا :

والله ما عملت حاجة هو افتري وخلص!!

_لا مش افتري دي حقيقة.

شوفتِ الكلام ده فين طيب!؟

حدقت به ببراءة ثم أجابت:

مريم صاحبتني شافتكوا.

كاد أن ينقض عليها ولكن تراجع في آخر لحظة مُستشيط منها غضبًا :

ولما أولع فيك وفيها دلوقتي يا ورد؟!!!

تغيرت معالم وجهها في نفس ذات اللحظة وضحكت بخفوت ثم نبست :

خلاص بقى يا كوتي.

كوتي!

_ايوه أنت الكوتي بتاعي أنا بس يا نوح.. لا بنت تقف معاها كده ولا كده
ولا تهزر ولا تضحك مع حد.. مفيش أي أنثى تانية في حياتك، هي أمه
وأخته... وأنا، نوح يخص ورد بس._

__نوح حبيب ورد بس.

أومأت برأسها له واتسعت الابتسامة على ثغرها :

__نوح حبيب ورد بس.

__بحبك يا عيوني.

__بحبك يا عيون ورد.

__طب يلا استنيني برا هلبس وننزل ناكل آيس كريم عشان أصلحك.

قفزت في مكانها عدة مرات بفرحة وخرجت سريعاً حتى يُبدل هو ثيابه.

ثبتت الهاتف أمامها على المنضدة وفتحته على تسجيل مقطع تصويري واعتدت في جلستها ولم تُفارق الابتسامة تُغرّها ثم نبست في تودة :

_نوح حبيبي.. انهاردة فاضل على فرحنا ثلاث أيام بالظبط، حبيت أسجل الفيديو ده توثيقاً بس عايزة أقولك أني بحبك أوي وأن الحياة من غيرك مش هيبقى ليها طعم، دايمًا بتحتويني وتعرف تفرحني وعمرك ما سيبتني وقت ما احتاجتك، اليوم اللي دخلت فيه حياتي كان أحلى يوم وبشكر ربنا على الصدفة اللي جمعتني بيك ونشكر طنط زيزي على حُسن الإنتاج وإنها جابت نوح الكوتي بتاعي.. بحبك يا عيون ورد.

"كنت صُدفة عابرة التقيت بها ولكن أصبحت قَدري".

أنهت حديثها بتلك الجُملة مُبتسمة ببشاشة وقربت الهاتف من وجهها وأعطته قُبلة وهمية وأغلقت الفيديو.

بعد شهرًا واحدًا من هذا اليوم، كان يجلس على الكرسي بإهمال.. شاحب الوجه وعينان لا يظهر منها البياض من كثرة احمرارها ونقص وزنه بشكل ملحوظ حتى هيئته! لم يُعد يهتم بمظهره فملابسه يرتديها بإهمال وشعر غير مُصفف كعادته كأنه تغير ولم يُعد نوح كما هو في السابق.

نبتت بهدوء تلك الفتاة التي تجلس خلف المكتب ويبدو أنها في منتصف عقدها الثاني :

ها يا نوح عامل ايه انهاردة؟!

رفع منكبيه بلا مبالاة وعيون شبه ناعسة :

_زي كل يوم من بعدها.

عدلت من موضع نظاراتها الطبية وأمسكت بقلم ودفتر الملاحظات خاصتها :

ماشي على علاجك بانتظام؟!

رفع أكتافه مرة أخرى بعدم اهتمام وشرد أمامه كأنه يُعيد تذكر تلك المشاهد السابقة قبل الحادث في ذلك اليوم.

هفتت الطيبة بجدية وشفقة على حاله وإلى ما وصل إليه :

حبيب تتكلم عنها طيب؟!

رمقها باهتمام حين ذكرتها وابتسم لا إرادياً منه ونطق أخيراً :

_جميلة لدرجة أنك عايز تبص لها على طول، مفيش في رقتها، مجنونة
وعليها حركات بتغلبنى وعينيها...عينيها هي الكافيين بتاعي اللي
بيفوقني لما ابصلهم!

سحب نفساً عميقاً يملئ به رئتيه بوجع وهو يتذكر تلك الليلة المشنومة
ليلة الحادث التي ماتت بها ورد ليقول بصوت مُتَحَشِّرَج يكبح دموعه من
الهبوط عنوة وكأن الذكريات تُهاجمه فجأة :

_ماتت وسابتني وهي قالتلي إنها عمرها ما هتسيبني أبداً.

أغمض جفونه بتألم وهو يتذكر هيئتها ذلك اليوم وهي مُلقاة أمام السيارة
والأناس يتجمعون حولها وهي غارقة بدمائها وشعرها المُبعثر والدماء
التي تنزف من كل مكان بجسدها، حملها سريعًا وتوجه إلى أقرب مشفى
حتى يطمئن عليها ولكن قد فات الأوان وصعدت روحها إلى خالقها
حينها، فلم يُصدق ظل يصرخ ويبيكي بنحيب تتقطع له القلوب حين
تسمعه.

ومن ذلك اليوم لم يخرج من غرفته وأصابه الاكتئاب حتى أجبرته والدته
على الذهاب لطبيب نفسي حتى يخرج من تلك الحالة التي أصبح فيها
ولكن بقى الحال كما هو ولم تتحسن حالته حتى، وظلت هي عالقة
بذاكرته لم ينساها حتى ليوم واحد.

صوت سيارات الشرطة والإسعاف الذي يصدرُ أسفل البناية والآناس
يتحاشدون حولهم فكانوا مثل النمل من الطابق الأخير بل ما يُسمى
"بالسطح".

ألقى نظرة سريعة للأسفل وهو ينوي السقوط وإنهاء حياته في غمضة عين ابتلع ريقه ببعض من التوتر يعلم جيدًا أنها ليست خطوة سهلة أبدًا، ولكنه حين فكر بالأمر لم يجد غير هذا الحل فهو يظن أنه الحل المناسب، أخذ نفسًا عميقًا وأخرجه براحة وأغمض جفونه بقوة بعدما أخذ القرار النهائي ليبدأ بالعد في سره وقبل أن يعد الرقم الأخير أوقفه اقتحام رجال الشرطة لسطح البناية، فهو حتى لا يعرف تلك البناية أو حتى ساكنيها.. هو فقط وجدها مُلائمة للانتحار بسبب طولها الشاهق، التفت لرجال الشرطة ليجد معهم طبيبته النفسية التي كانت تتولى علاجه طوال الستة أشهر الماضية ولكن لم تأتِ أي جلسة أخذها بثمارها، لم تتقدم حالته بل كانت تسوء يومًا بعد الآخر.

هتفت بسرعة وصرها يعلو أثر ركضها على الدرج لتلاحقه قبل فوات الأوان :

_ استنى يا نوح!

ظل واقفًا جامدًا لا يتحرك ولا يُبدي أي ردة فعل، يُحملك بها بلا مبالاة لتتحدث مرة أخرى بلهفة :

_ ممكن تقولي هتقدر تقابل ربنا ازاي!؟

أخفض بصره بخزي من نفسه ثم هز رأسه يمينًا ويسارًا بعنف مرات
عديدة مُحدثًا نفسه قبل أن يُحدثها :

__ هو ده الحل الوحيد، أنا مش هقدر أعيش أكثر من كده.. أنا بتعذب كل
يوم، أنتِ مش فاهمة حاجة ولا حاسة باللي أنا حاسُّه ولا حتى عارفة
تساعديني، كل مرة كنتِ بتقولي المرة الجاية هتبقى أحسن ولا أنا كنتِ
بتحسن ولا هيبقى فيها مرة جاية يا دكتورة!

اقتربت منه أكثر تحاول إيقافه قبل أن يؤدي بحياته إلى الهلاك :

__ طيب ممكن تنزل عشان نتكلم ونتفاهم؟

انهمرت العبرات على وجنتيه كأنها تتسابق من سيسقط أولاً لِتُحرقه
وتحرق قلبه قبلها، رفع كتفيه بعدم إدراك لشيء ثم قال بصوت مبجوح :

__ هيفيد بايه الكلام، مش هيفيد بحاجة.. كل حاجة راحت حتى هي راحت
وسابتني أنا مش عارف أعيش من بعدها ولا عارف أتعايش على بعدها
أنا مُجرد جسم بيتنفس مش أكثر عشان هي خدت روحي معاها.. أنا
عايش بتعذب من بعدها!

أوماتِ الطيبة برأسها مرارًا وتكرارًا تحاول الابتسام على الرغم من كم
القلق الذي تشعر به لعل تلك الابتسامة تُبث له الطمأنينة :

_ صدقتي كل حاجة هتتحل، ولو مش معايا هتبقى مع حد تاني أشطر
مني بس أرجوك متظلمش نفسك.

صرخ صائحًا بوجهها بانفعال :

_ بس بقى كفاية زهقت من الجملة دي مش عايز اسمعها تاني! مفيش
حاجة هتبقى كويسة مفيش حاجة هترجع زي الأول كفاية عذاب لحد هنا
أنا تعبت.

حينها حاول رجال الشرطة الاقتراب منهم فحذرهم بذعر أنه من سيقترب
منه سيلقي بنفسه على الفور بدون أي تردد لِتردِف الطيبية مجددًا دون
ملل :

_ نوح! متقلش محدش هيقرب منك أنا بوعدك بده وأوعدك إني هفضل
جنبك لحد ما تبقى كويس حتى لو اضطريت تسافر برا هساعدك.. بس
أرجوك انزل، لو مش عشاني يبقى عشان أهلك.. بلاش أهلك عشان
خاطرها هي عشان تبقى معاها في الجنة هي مستنياك.

لِتلين ملامحه مرة أخرى ويُخفف من القبض على راحة يده وتهدأ
أعصابه قليلًا، يبدو أنه يفكر في الأمر مليًا ليعاود البكاء مرة ثانية
بصوتٍ مرتفع :

وحشتني أوي.. نفسي حتى أحلم بيها، كدبت عليا وقالتلي مش هتسيبني
بس مشيت!

ابتسمت براحة حين رأت التغيّر الذي بدى عليه خلال تلك الثواني
المعدودة لتمد يدها له برفق ليُمسك بها :

ادعيها بالرحمة ادعيها كثير هي أكيد محتاجة ده.. هات إيدك.

أخذ شهيقًا عميقًا قبل أن يُمسك بيدها وها هي الآن قد نجحت بإقناعه،
أمسك بيدها بقوة.. ولكن قبل اللحظة الأخيرة انزلقت قدمه ووقع بعد أن
رأى آخر نقطة أمل كانت توجد بنهاية الطريق، لقد رجع عن فكرة
انتحاره ولكن كان للقدر رأي آخر بذلك.